اناتول فرنس والمرأة

أدرك الكاتب العبقري أناتول فرانس كبير كتاب فرنسا غير مدافع الخالدين من عمره فاحتفلوا حتماً بنادرة الكتاب الذين تضن بهم القرون ولا تجيء بضرائبهم الا بعد تروٍّ فيخلق الفرد منهم بما وهب من ذكاء نادر امة تقدسها الاجيال المتعاقبة وتخلدها الاحقاب والادهار

ومن الناس من لم يردد اسم اناتول فرنس في انحاء العالم المستنير ومن منهم ذلك الذي لم يظفر بتلاوة آيات عبقريته البينات ومن لم تتح له السعادة فيرى هذا الشيخ الوقور في فرامة ولو سفر واحد من شيق آثاره الممتعة لتجلى له العبقرية البارزة في وجه وآراء هذا الكاتب الفحل الذي تفتخر به فرنسا ام المدنية والعلم فمن يجده اليوم وقد غدا على العقد الثامن من عمره ؟

هذا الكاتب الكبير ميزة رفعته مكاناً علياً فوق من عداه من الكتاب اذ لا تقع العين على كلمة من كلمه في صحيفة صالحة الا وتستشف بين ثنايا كلماتها وتضاعيف سطورها تلك الابتسامة التي تتحير بينه وبين هذه السطور ، بل تتجلى ويروج الكاتب وعبقريته بارزة كان العين واقفة عليه وهو يحدثها في خلوة من بيته

اناتول فرنس كثير الولوع بالتحدث الى النساء حيث يثير حديثين هذه العبقرية النحة السخية وكان يعلق عليهن اهمية كبرى اذ يعلم انهن وحدهن اللاتي يهدين الكاتب العبقري الى جادة النجاح والتفوق

وهذا الكاتب الفذ آراء قيمة في النساء فتنهن يقول :

« ليس التأنق في الخدام يستحسن الا للنساء اللواتي لسن على شيء من الجمال ولا تحتاج النساء الى الازياء في الملبس الا ليستعن به على بروز اشكالهن ويركن انفسهن في تثبيت التأنق على الرغم من مضايقتهن بالزي في بعض المواضع التي تتطلبها الجذبة حتى يبدو الخلل في اجزاء الجسم . فالثوب اذاً بما فيه من تأنق غير مجد الا لتجميل النساء النحيفات اذ يقوى التناسب بين الاعضاء

هذا ترى الفيلسوفيات مستوفيات شروط الحسن وتمام الجمال والملاحة وهن متجردات اذ يبدين في جلال روعتهن اكثر مما لو كن مشتملات ثياباً بنا ترى

السادة العصريات على العكس ومن تحيلات بوجه عام يظهرن في ثيابهن أبهى جمالا من الثيابيات

على ان هذه مسألة نزاع نظرية لان للنساء اسلحة أخرى عدا مايتزين من حلل

وقد وقع للمؤرخ الكبير المسيو بيير شامبيون ان ذكر يوماً امام اناتول فرانس ان الناظر الى صور نساء القرن الخامس عشر يلفيهن جميعهن متشابهات . فاجاب فرانس : ان تلك النساء في ذلك العهد ما كن يحفلن بالحالة الشخصية

اناتول فرانس

وحدث مرة ان نظر فرانس الى صورة عذراء ايطالية تصلي بين اشجار الورد فقال : « أليس هذا وجه مراهق جميل . وعلى كل حال كان الفنانون الايطاليون يتخذون من صور الصغار نماذج للعذراء وقد شاهدت من ريشة روفائيل شاباً فلورنتينياً صغيراً في شكل عذراء

ليس للنساء وجه خاص بهن فاذا ما البست ولداً صغيراً بزة نسوية فانت امام امرأة واذا ما البست امرأة شابة ثوب فتى الفيت نفسك حيال فتى وليس ثم من وجه خاص الا للرجال . ويظهر ان الطبيعة بعد ان كونت جسم المرأة وصوتها قالت

لها: « انني لن أزيد عليك شيئاً ويكفي ما أنت عليه من رونق حتى يبحثوا عنك وعليك ان تعرفي كيف تبقين على الاعجاب بك »

وللنساء بطبيعتهن خاصية التسلط على رفقائهن ومن يلوذون بهن ومن النادر ان تجيء هذه الميزة بعكس ما نشأن عليه لان هذه الفطرة تسوقهن الى الطريق التي سنته لهن الطبيعة

ولا ننقل انهن ارق حاشية من الرجال وآية ذلك ان ما فطرت عليه القبائل المتوحشة قضى على المرأة بان لا تمضي الى الصيد والقنص وكذلك نرى النساء في هيئاتنا الاجتماعية العصرية لا يبدين شيئاً من الآراء الطريفة الجريئة ولا يقدمن على شيء من الاكتشافات

ان النساء اكثر الهاماً بمواضع الحياة من الرجال ويندر ان تنزع بهن فطرتهن الى ما لا يرتضى لانهن في الغالب يوجهنها الى ما تقتضيه هذه الطبيعة . على ان ذكاءهن دون ذكاء الجنس الخشن فلا يجنحن الى الشاق من الاعمال تاركات هذه الاعباء على عاتق الرجل مع بقائهن متوليات امور البيت وتقاليده فهن مبقيات عليه لا يتدخلن في ما عداه

والنساء متمتعات بجميع الصفات اللازمة للحياة العملية وهي متأصلة فيهن اكثر من الرجال فلا يسع الانسان الا ان يحيي انتصار الحركة النسوية التي ترمي بحق الى جعل المرأة والرجل في مستوى واحد ازاء القانون المدني

وقد يمكن ان تعود قوة المرأة المنتصرة التي تتمتع بها عليها بالخذلان واني ذاكر في هذا الصدد قصة شرقية لذيذة

رأى شاب تركي جميل الطلعة في ما يرى النائم حورية تقدم له خاتماً وكان هذا الشاب يرقد في خلوة . وقد قالت له هذه الحورية : « ان لبس هذا الخاتم ان هذا الا طلسم وهو كفيل لكل من يملكه بحب النساء »

فاستيقظ النائم فالفى الخاتم في أصبعه وقفز من فراشه فرحاً وبادر الى ارتداء ثيابه وخف الى ما يصادفه من فتح مبين لقلوب النساء كما وعد به

ولم يكد يصل الى الطريق حتى استشعر بمن يشد ذيل معطفه فتلفت جزعاً فاذا هو دون عجوز شمطاء مقضنة الوجه كاحلة اللون لا تكشف شفتاها عن بقية باقية من الاسنان

وما كان اعظم دهشته عند ما سمعها تناديه وهي تبسم بفظاعة ! « يا غزالي » فصرخ في وجهها وقال :

« دعيني ايتها اللعينة »

وهي في هذه اللحظة جذبته الى حافة هاوية قريبة منها والقت بنفسها واياه اليها

ولا يعلم ولا يدري انسان ماذا كان في نفسها حتى تستأثر به ما دام حياً في حين انها لم تقبض الى السماء الا بعد اربعين عاماً من هذه الكارثة

وهنا يقول اناتول فرنس مستخلصاً من حياة المرأة والجمال والثوب وما تهبه الطبيعة لهذا المخلوق البديع من رونق وجمال قد يكسوه ثوباً لا يستشفه الا من نفذ الى شغاف قلبه بريق يطوي حاجب هذا الشغاف فيجف القلب اذ يدب الموت فيه ؛ هنا يقول اناتول فرانس في خدعة الحب : « هذا هو الخطر في ان تتعمل ان تكون محبوباً »

وجاء في الصحف الافرنجية أن المسيو اناتول فرانس قد اتخذ له شريكة ثانية لحياته بعد أن مضت مدة ليست بالقصيرة على طلاقه إمرأته الاولى

أراد هذا الشيخ الجليل — بعد مرض لازمه طويلا — ان يودع وصيته جزءاً من ماله لخادمته جزاء لها على مابذلته نحوه اثناء مرضه من عناية وتضحية وخدمة صادقة . فاستدعى اليه مسجل العقود وأنبأه بنيته . ولكنه علم منه ان القانون يقضي عليه بأن يدفع للحكومة من الرسوم ما قد يستنفذ ثلاثة أرباع وصيته . فدهش الكاتب لهذا النبأ

الا إن المسجل تدارك صاحبه عن غير قصد ولا تعمد اذ ارتأى رأياً وجد فيه اناتول من مأزقه منفرجاً . قال المسجل : « ان هناك وسيلة لتخفيض تلك الرسوم هي كتابة عقد زواج » ! . . . فلم يلبث كاتبنا الكبير الا قليلا وأجاب « لاضير ، سأتزوج ! . . . »

وسرعان ما أعلن اناتول عزمه على الزواج . وما انقضت المدة القانونية حتى سار في صحبته اثنان من معارفه . هما المسيو ليون كان والمسيو كالمان ليفي يريدون دار الحكومة في سكون وسكوت . وكان مرتدياً ملابسه العادية . يمينه عصاه وعلى رأسه قبعة خفيفة . وهكذا عقد له بعد قليل على من واسته في مرضه ووالته في كربته وشيخوخته

امبراطور النمسا والشبح

ملحة تاريخية

ان الواقف على التاريخ يعلم ان اغسطس الثاني أمير سكسونيا الملقب بالقوي (سنة ١٦٧٠—١٧٣٣) تبوأ عرش بولونيا بعد وفاة ملكها سوبيسكي عام ١٦٩٧ . وقد بذل قبل ذلك مساعي عديدة للوصول الى ذلك العرش الامر الذي شغل في ذلك العهد وزارات اوربا وأقض مضاجعها وحاول جميع ارباب السلطات تحويله عن هذه الفكرة فذهبت مساعيهم عبثاً وانفرد امبراطور النمسا جوزيف من بينهم بتعضيده ومؤازرته على بلوغ أمنيته

وقد لجأ رجال السياسة اذ ذاك الى الحيلة للتخلص من أغسطس وصرفه عن أفكاره واليك هذا البيان التاريخي المأخوذ من مذكرات امبراطور النمسا

بينما كان اغسطس مستغرقاً في نومه بعد ليلة قضاها كعادته في السهر والقصف ايقظه خادمه عند الساعة الرابعة صباحاً وقال له : ان الامبراطور يدعوك في هذه الساعة اليه على عجل فدهش الامير واضطرب لانه فارق الامبراطور مساء البارحة صحيحاً معافى ولكنه لما مثل بين يديه ألفاه مضطجعاً في سريره بين حي وميت غائر القوى شاحب اللون

فصرخ اغسطس قائلا : ماذا حدث لجلالتكم وماذا دهاك ؟

فاجاب الامبراطور بصوت متهدج : حدث لي حادث مريع وارجح اني